العرب
الأربعاء 2021/04/14
السنة 43 العدد 12030

«كلّ يصنع إيمانه بيده».. تحية لذكرى رحيل مُربك

بيروت تستعيد جرحها الصيفي في معرض جماعي ينتصر لفكرة الصمود

نظّمت منصة "أد- ليب" الافتراضية معرضا فنيا واسعا تحت عنوان "كل يصنع إيمانه بيده" في مبنى "طبال" التاريخي، تخليدا لذكرى غايا فودوليان صاحبة غاليري "لاتيسيا" في شارع الحمرا البيروتي. وانطلق هذا المعرض الذي تتخلله ندوات في الثامن من أبريل الحالي ويستمر حتى الثامن والعشرين منه.

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

بيروت – يجمع المعرض المعنون بـ"كل يصنع إيمانه بيده" الذي يُقام تخليدا لذكرى غايا فودوليان، أعمالا فنية، بعضها مُنجز قبل أن تولد فكرة المعرض وبعضها الآخر حديث ونُفّذ خصيصا للمناسبة التي تحتفي بذكرى الرحيل المُربك لصاحبة غاليري "لاتيسيا" البيروتي، الفنانة غايا فودوليان.

الأعمال أنجزها فنّانون ومُصمّمون لبنانيون طُلب منهم إنتاج أعمال فنية استلهموها من الموضوع الذي يحمله عنوانُ المعرض.

> أعمال المعرض الجديدة والسابقة تشمل التصوير الفوتوغرافي والأثاث والتجهيز والفيديو والنحت والرسم

الفنانون (والعديد منهم ممّن سبق أن أطلق مسيرته الفنية في صالة لاتيسيا) هم سامر بورجيلي، كارن شيكيردجيان، حاتم إمام، سيرين فتّوح، غايا فودوليان، بول كالوستيان، نتالي خيّاط، حسين نصرالدين وكارولين تابت. وللمعرض سينوغرافيا ملائمة للمناسبة من تصميم غيث وجاد.

تنويعات جمالية

كل الأعمال الجديدة والسابقة متنوّعة بشكل كبير وتشمل التصوير الفوتوغرافي والأثاث والتجهيز والفيديو والنحت والفن التشكيلي. واستخدم بعض الفنانين في أعمالهم عنصر النّيون.

ولم يختصر المعرض على ذلك فحسب، بل أصرّ على أن يطرح وبشكل واضح أسئلة حول أهمية إنتاج الفنون وعرضها في خضم ازدياد حالة عدم الاستقرار اليومية التي يرزح اللبنانيون تحت وطأتها.

يُمكن اعتبار هذا المعرض معرضا شاملا، ليس لأنه ضم تنوّعا ضخما في الأعمال، بل لأنه جمع مواصفات متكاملة تجسّد الحالة اللبنانية الحالية بشكل عام والحالة البيروتية بشكل خاص.

إضافة إلى أن عنوان المعرض يُحيل المخيلة إلى أفكار الصمود والتخطي بتجلياته البصرية المُمكنة والمستحيلة، والتي يجب أن يتحلى بها اللبناني كي لا ينهار وسط كل هذه الظروف المأسوية التي لم تعد غريبة على أحد.

ويشير عنوان المعرض "كل يصنع إيمانه بيده" إلى نصّ كتبته الشابة الراحلة غايا فودوليان، صاحبة صالة "لاتيسيا" العصرية. نص نشرته على حسابها الفيسبوكي في 4 أغسطس 2020، وهو تاريخ مأسوي طبع ذاكرة اللبنانيين وفيه دوّى انفجار بيروت الهائل الذي قتل ودمرّ أحياء بأكملها.

وأرفقت غايا نصها المقتضب هذا بصورة فوتوغرافية وشخصية ظهرت فيها بفستان أحمر راكضة باتجاه الكاميرا وخلفها جبل أخضر.

ويشير النص المرافق للمعرض أنه من المستحيل معرفة ما كان يجول في خاطر فودوليان عندما نشرت الصورة، إذ قد قضت في الانفجار بعد بضع ساعات من نشرها. أما مسألة الإيمان والغاية من التحلّي به وصعوبة العيش من دونه على وجه الخصوص، فتحاكي الوضع الراهن اليوم أكثر من أيّ وقت مضى.

أما ما يعطي هذا المعرض صفة الشمولية هو أيضا مكان المعرض الذي لم يُقم في صالة "لاتيسيا" الجديدة التي تم افتتاحها في شهر أبريل من سنة 2018، بل في مبنى "طبّال"، أحد المباني التراثية المُعرّضة للخطر في شارع سرسق في بيروت ويرجع عهده إلى ثمانينات القرن الماضي.

مبنى يُناسب تماما معرضا كهذا بما يضم ويساهم "بطريقته"، إن صح التعبير، في الكشف عن النّدبات والجماليات التي تخبئها هذه المدينة وأهلها، والتي تجسّدها الهندسة المعمارية في هذا المبنى الذي يعتبر أيضا "ناجيا" من الكوارث المُفتعلة بجزء كبير منها.

فنون وتصميمات مختلفة تتناثر في منزل «طبال» التراثي

مقعد من الخشب من تصميم الفنانة الراحلة غايا فودوليان

وتتعاون منصة "أد- ليب" الافتراضية المنظمة للمعرض مع "صالات للثقافة" على تنظيم جولات لزيارته، إضافة إلى ذلك سيُكمّل معرض "كل يصنعُ إيمانه بيده" افتراضيا بهدف إشراك الجمهور العالمي مع التنوّع، وبهدف إنشاء شبكة تواصل وحوار بين الفن العالمي والمحلّي، ودعم الحركة الثقافية والفنية عقب الانفجار الذي طال مدينة بيروت. وسيتبع المعرض الافتتاحي برنامج من المعارض الفنية المؤقّتة والمناقشات التي لم يعلن عن جميعها حتى الآن.

ولم تنشأ منصة "أد- ليب" الافتراضية خصيصا لهذه المناسبة، ولكنها بمثابة استمرارية لحياة لا تنفك تتعرّض إلى جميع أنواع الاغتيالات. إنها منصة طوّرتها المصمّمة والفنانة غايا فودوليان سنة 2020، وتوقّف عملها عقب انفجار الرابع من أغسطس من العام ذاته والتي قضت إثره.

رثاء جمالي

اليوم، تجيء الاستمرارية والإصرار عليها على يد آني فارتيفاريان والدة غايا، بتحقيق المشروع لإحياء ذكرى ابنتها الراحلة. فقد ذكرت الوالدة التي أسّست صالة "لاتيسيا" بالتعاون مع محمد الحمود قبل أن تتولى إدارتها ابنتها أن هذا المشروع كان عزيزا جدا على قلب غايا، وكان قد بدأ يعرف اهتماما كبيرا محليا وعالميا قبل رحيل ابنتها، وهي تريد أن تحافظ عليه وأن تطوّره.

الأعمال الفنية المعروضة في مبنى "طبّال" هي للبيع، ولكن المنصة لا تستهدف الربح، إذ سيعود ريعها إلى مؤسّسة "غايا فودوليان"، وهي منظمة من شأنها دعم الحيوانات المُحتاجة والاهتمام بها، إضافة إلى تقديم المساعدة إلى مُنقذي الحيوانات، وهي قضية لطالما آمنت بها الفنانة الراحلة.

معرض شامل ومُثقل بالمعنى. هو ذكرى، وهو تذكّر إحياء وتطلّع نحو مستقبل غامض، وهو استقواء على الجراح وهو أيضا تجميل لها دون الادعاء بمعالجتها، لاسيما أن جرحا كالجرح "الصيفي" الذي أصيبت به بيروت تعاطت معه السلطة بإهمال شديد أحيانا مع إصرارها على حماية المسؤولين عنه دائما، فبقي حيا ونابضا وشاملا شمولية المأساة وتعدّد وجوهها.

ثنائية التلاشي والحضور

ونختم بمقتطف من كلام مؤثر وضعه الكاتب نسيم الخوري لمناسبة رحيل غايا/ الرمز "أمسكي بحبري كي أحسن الكتابة والتعبير المستقيم في وطن لواه الانفجار من الجذور.. بعدما درست الهندسة لسنة جامعية في ميلانو أولا ولثلاث في سويسرا، عادت إلى بيروت، وغابت غيمة ممزقة مع هول الانفجار.. ليس من زاد لنا سوى القصائد والكتابة بحثا عن القيامة، أيّ قيامة ولو كانت قشّة نظيفة في سخف لبنان وأوديته الحافلة بالوحوش والمجانين والصخور البشريّة الصمّاء؟ كم يصبح الحبر سخيفا، إذ ينهمر بين الأصابع مزاحما الدموع الحارقة من موت وجوع في أرجاء لبنان".

الجزائرية زولا جنان تشكّل من الأبجدية الأمازيغية مفرداتها الفنية

الجزائر – يحتضن غاليري "إفري ديزاين" بالجزائر العاصمة معرض الفنانة التشكيلية زولا جنان، الذي يتضمن 30 عملا بأحجام متباينة وبتقنيات حاولت التشكيلية الجزائرية من خلالها أن تُحقّق أسلوبها الخاص في التعبير عن مواضيعها المتنوّعة.

وتنسجمُ الألوان التي اختارتها جنان، والتي غلب عليها البُنّي والأصفر في تدرّجات لونية بين فاترة وحارقة، مع موضوع الارتباط بالأرض، وهو الثيمة الأساسية التي شكّلت القاسم المشترك بين العديد من اللّوحات المعروضة.

كما أنّ استخدام الفنانة لبعض الأحجار التي جمعتها من وادي الغوفي بمحافظة باتنة (منطقة الأوراس) يُعطي إيحاءً إضافيا بخصوص تعلّقها بالأرض وتمسُّكها بتربتها، وهو بمثابة دعوة موجّهة إلى الجمهور من أجل المحافظة على الطبيعة واستثمارها بالصورة المثلى التي تضمن ديمومة مواردها.

وتحكي اللوحات قصصا عاشتها هذه الفنانة خلال جولاتها التي اكتشفت فيها مواقع طبيعية خلّابة، كما تبوح بأسرار الحياة التي خبرتها عبر تجربتها الفنية، مؤكّدة وفاءها لرموز الثقافة الجزائرية.

ويعتمد أسلوب الفنانة الجزائرية على استعمال الألوان الدّالة على الموضوع، والأشكال المستمدّة من التراث، فضلا عن استخدامها لحروف "تيفيناغ"، وهو الخط البربري البارز، على جميع الوسائط وبمواد متعددة مثل الألوان الزيتية والرمل والتوابل والأحجار.

وتيفيناغ أبجدية استخدمها الأمازيغ بمنطقة شمال أفريقيا في عصور ما قبل الميلاد لكتابة لغتهم والتعبير عن طقوسهم وشعائرهم الدينية، واختفت لاحقا قرونا طويلة، فانحسرَ وجودها إلى الفضاء الثقافي والعرقي لشعب الطوارق بالصحراء الكبرى، ثم أحياها مثقفون جزائريون بإنشائهم "الأكاديمية الأمازيغية" في باريس 1966.

وفي ثمانينات القرن العشرين اعتمد حرف تيفيناغ لكتابة الأمازيغية في الجزائر، ثم في المغرب إثر تأسيس المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية عام 2005.

أما جنان فتعتمدها في جل لوحاتها مبرزة جمالية حروفها الثلاثة والثلاثين ورموزها وأشكالها التي يؤكّد بعض المؤرخين أنها واحدة من أقدم الأبجديات التي عرفها التاريخ، وأنها عاصرت الكتابة الأولى التي عرفت في منطقة سومر ببلاد الرافدين، ويرجع تاريخها إلى ثلاثة آلاف سنة قبل ميلاد المسيح، كما تشهد على ذلك الكتابات والنقوش الموجودة في الصحراء الكبرى.

أما التقديرات الأجنبية لعمر تيفيناغ فقد بنيت على الافتراض الذي يزعم بأن أحرفها منحدرة من الأبجدية الفينيقية، ووفق هذه التقديرات فإن عمر تيفيناغ حوالي ثلاثة آلاف سنة، وهو وقت وصول الفينيقيين إلى شمال أفريقيا.

الأمر الذي ينفيه الباحث الأمازيغي الحجي أمي، مستندا إلى دراسة تقول إنه تم قبل سنوات اكتشاف صخرة موحّدة بين الجزائر والمغرب، في نهاية جبال الأطلس تتضمن رسما جداريا لرجل موشوم بتيفيناغ وعثر بقربه على رمح برونزي.

والحال أن ظهور البرونز يعود إلى حوالي 1500 ق.م، بينما الأبجدية الفينيقية ظهرت حوالي 1200 ق.م، أي أن ظهور الكتابة الفينيقية متأخر بقرون عن آثار التيفيناغ التي عثر عليها، ممّا يرجح أن تيفيناغ هي نتاج شمال أفريقي خالص.

وعن رموزها تقول جنان "أشتغل في لوحاتي على الرمز لأنه تراث تاريخي يخصني كجزائرية، ولا يمكنني رسم لوحة ما من دون خلفية مماثلة، القيمة الجمالية هامة في العمل التشكيلي. لكن من الضروري أيضا أن نتطلع إلى هدف تقرأ من خلاله اللوحة، وأنا أنتصر في جميع لوحاتي لهذه الأبجدية الضاربة في أعماق التاريخ".

وتضيف "تيفيناغ مكّنتني من إبراز الديناميكيات والحركات الحاصلة في الحرف الأمازيغي، لأنه من خلال الإنشاء أقوم بتعديل الحرف إلى رمز بدمجه بشخصية مجردة.. فكل حرف عندي يروي قصة وعاطفة وذاكرة".

وهي تستمد إلهامها من منطقة الأوراس أرض أصولها، على الرغم من أنها ولدت في الجزائر العاصمة، إلا أن الفنانة توضّح أن معالمها تأتي أيضا من مناطق تازولت وباتنة في شرق البلاد، ولكن أيضا من جبال القبائل وأقصى الجنوب الجزائري.

وتستحضر بعض اللوحات المعروضة مواضيع تجريدية ذات علاقة بالطبيعة، مثل الانتقال من فصل إلى آخر، علاوة على ذلك يشاهد زائر المعرض على الجدار نفسه لوحة ظليّة لامرأتين وهما تنظران إلى القمر. وعلى الجدار المقابل يلفتُ الأنظار قناع أفريقي على خلفية صفراء، وعليه وشم.

وتضيف الفنانة مسحة جمالية على بعض أعمالها وذلك باستخدامها أسلوب التلوين بماء الذهب الحقيقي، ربما لإعطاء قيمة أكبر لموضوع الطبيعة والأرض.

وتنحدر جنان من منطقة الأوراس وهي تشتغل في مجال التصميم الداخلي، وهي كذلك بطلة في تسلّق الجبال، وهذا ما يجعلها تعدّ المرتفعات من العوامل الأساسيّة التي تساعدها على التأمُّل.

وعن ذلك تقول "أقضي الكثير من الوقت في الجبال، فأنا حساسة للغاية تجاه هذه التضاريس، والصخور والحجارة التي تنهار من الجبال عندما أتسلق تمنحني أفكارا ورؤى جمالية أوظفها في لوحاتي. هذه الحجارة المتهدمة تميّزني، أعيدها وأعطيها حياة ثانية من خلال دمجها في رسوماتي".

زولا جنان

كل حرف من حروف تيفيناغ يمثل عندي قصة وعاطفة وذاكرة

وتضيف "شغفي بالرسم والتسلّق يسمحان لي بالهروب والارتقاء بنفسي إلى عوالم متجدّدة ومختلفة عن السائد والمتداول، فأتسلّق اللوحة بألواني وأرسم الطبيعة مشيا على أقدامي".

في عام 2010 أنشأت جنان رواقا فنيا أطلقت عليه اسم "المرآب"، تكريما لوالدها الذي كان يمتلك مرآبا ويشتغل ميكانيكيا، حيث قضت في ذلك المكان معظم طفولتها، وألهمها أن تكون رسامة، وهي تعرض فيه بشكل دائم أعمالها الخاصة كما تنظم فيه فعاليات ثقافية وفنية للتعريف ببعض التجارب التشكيلية الجزائرية المجدّدة.

ويستمر معرض جنان إلى نهاية أبريل الجاري، وهو فرصة لعشاق الفن التشكيلي لقراءة اللوحات بمعطيات تاريخية ورموز أمازيغية ملهمة.

رموز أمازيغية ملهمة

لوحات تغوص عميقا في معاني الأرض ودلالاتها